كيف تقرأ كتب الفقه

لفضيلة الشيخ
أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر



الشيخ لم يراجع التفريغ





00966558883286

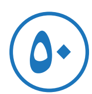
YouTube/alshuwayer9

alshuwayer9

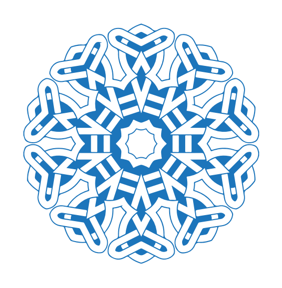
للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ



كيف تقرأ كتب الفقه



لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ تسليماً كثيراً.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

فهذه الكلمة في دقائق معدودة بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، عُنون لها مِن قبل الإخوة الأفاضل بعنوان: «**كيف تقرأ في كتب الفقه؟**» والحقيقة أنِّي وجدت هذا السؤال إجابته من أصعب الإجابة، وذلك أيها الإخوة أنَّ العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى **يقولون**: إنَّ الفقه صنعة، كما عبَّر بذلك أبو الوليد ابن رشد في كتابه «**الضروري في أصول الفقه**»، والصنعة تعليمها من الأمور الدقيقة التي تحتاج إلى دُربةٍ، وإلى ملازمةٍ وطولِ مكثٍ، وقبل ذلك توفيقٌ من الله عَزَّوَجَلَّ وذكاء من الشخص ومناسبةٌ في نفسه وذهنه.

ولذلك فإنَّ إجابة هذا السؤال قد يكون من أصعب الأمور، فيما زلت أقلِّب هذا الموضوع في ذهني فلا أجد له جواباً، بيد أني سأحوِّر الموضوع قليلاً، فبدل من أن يكون موضوع هذه المحاضرة: «**كيف تقرأ في كتب الفقه؟**»، ليكن الحديث عن كتب الفقه، بدلاً عن كيفية القراءة فيها؛ فإن الكتب وسيلة من الوسائل المهمة في تحصيل العلم، ولذلك من ما زال أهل العلم في الحديث وغيره يعتدون ويعتبرون بالوجادة للكتب طريقاً من طريق التحمل وطريقاً من طريق النقل والاعتماد عليه، ولذلك النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الأصل فيه أنه نقل بعض حديثه في حياته عن طريق الكُتب والوجادة كما كتب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لهرقل وغيره من ملوكِ الآفاق.

إذن: هذه الكتب في الحقيقة هي وسيلة من وسائل تحصيل العلم؛ لأن طالب العلم يحصل العلم بوسائل، من هذه الوسائل الكتب كما مر معنا **ومنها**: الأخذ عن الأشياخ، **ومنها** الرواية، **ومنها** المذاكرة، **ومنها** الحفظ، وغير ذلك مما يكون مندرجًا أو قسيمًا لهذه الأمور التي سبق ذكرها، والحقيقة أن الكُتب والقراءة فيها كما أنه أمر مهم فإنه أحيانًا قد يكون سببًا في الانصراف عن العلم؛ **لأن ذلك يكون سببًا في الانصراف من جهات:**

۞ **الجهة الأولى**: حينما يرى المرء كثرة الكتب، ويرى المرء كثرة العلم، فحينئذٍ يستصعبه، يستصعب العلم، ويستثقل قراءة هذه الكتب كلها، كما **قال علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «العلم نقطة كثَّره الجاهلون بخوضهم»، ولذلك كلما طال الزمان عن عهد النبوة، كلما كثُر الكلام، وكثُر الخوض، وكثر التَّفصيل والتشقيق للمسائل، وأقل المسائل التي العمدة فيها على حديثٍ أو حديثين؛ لربما أُلِّفَت مجلدات وأعني ما أعني بهذا الأمر.

فعلى سبيل المثال: قراءة المأموم الفاتحة خلف الإمام أُلِّف فيها أكثر من خمسة عشر مؤلَّفًا من غير تتبع ولا استقراء لهذه المسألة، والإشارة بسبابة المصلي حال التشهد أُلِّف فيها أكثر من العدد الذي ذكرته قبل قليل في نفي الإشارة وإثباتها وتتبع طرق الحديث وعلله، وما يتعلق في محلها، وهذا القول بأنها أربعة مواضع يُشار فيها وما عدا ذلك من الأمور.

إذا كانت المسألة بهذه القلة وهذه السهولة ومع ذلك كثر في هذا التشقيق، فإنَّ كثرة الكتب أحيانًا تكون سببًا للبعد وتصعيب العلم على بعض الناس.

۞ **الأمر الثاني**: أنَّ كثرة الكتب أحيانًا قد تكون سببًا في التكاثر، وقد **قال الله** عَزَّوَجَلَّ:

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: ١ – ٢]، وقد جاء من بعض من له لطائف في حديثه أن قال: إنَّ جمع الكتب إذا كان من غير قصد الإفادة والقراءة فيها يكون من التكاثر، وهذا معروف، فإننا نعرف من طلبة العلم من يباهي غيره ويُنافسه في شرائه أجَّد الكُتب، بل وأنفسها وأعتقها، فيجد أن للكتاب طبعتين، فينتقي منها الأغلى ثمناً لا الأفضل له، ولربَّما اشتري الغالية بأضعاف أضعاف وأعني ما أقول، بأضعاف أضعاف قيمة الثانية وإذا اشتراها فإنه لا يقرأ فيها لكون ورقها قديماً مهترئ أو لغير ذلك من الأسباب، فهذا في الحقيقة داخل كما ذكر بعض الفضلاء في **قول الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾، التكاثر في كل شيء، ومنه أن يتكاثر على الناس ويفاخرهم بكثرة كتبه وتميز طبعاتها، وما يتعلق به.

إذن: قضية كثرة الكتب أحياناً قد يكون مشكل، وفي نفس الوقت فإنه لا شكَّ ولا ريب أنَّ من أكثر ما يُعين على ضبط العلم، وعدم السآمة فيه، وعدم الملل في تحصيله، وفي نفس الوقت في فهم العلم كثرة الكتب؛ لأن الشخص قد يقرأ كتاباً فيمر عليه فهم المسألة إما فاقداً للفهم بالكلية، وإما أن يفهم جزءً منها لا على سبيل الإطلاق، فإذا قرأه في كتاب آخر، الثاني وضح الأول، وزاد قيداً، وفتح مشكلاً.

كما أن المرء إذا اشترى كتاباً وإن كان الكتاب الأول يغني عن الثاني، لكنه إذا اشترى الثاني فسيقرأ فيه فيجدد المعلومة التي قرأها في الأول، **ولذلك قال بعض الفضلاء**: إذا أردت أن تعرف الرجل هل ما زال مع طول عمره وتقدمه، هل ما زال ممَّن يجدِّد علمه أم لا؟ فانظر هل يقتني الكتب أم لا؟ فإن كان يقتني الكتب، فمعناه أنَّ الرجل ما زال يُحدِّث معلوماته، وما زال يقرأ، إذ المرء بطبعه يملُّ من الكتابة، الذي لا يُمَلُّ منه شيء واحد وهو القرآن، لا يخلق على كثرة الرد، كما جاء في حديث الحارث الأعور عن علي.

ما عدا ذلك من الكتب يمل منها صاحبها، ويمل من تكرارها، ويمل من الإعادة من النظر فيها، فإذا غُيِّر الكتاب بأسلوبٍ واسمٍ وورق آخر؛ ربما كان ذلك سببًا في تثبيت العلم، وهذا واضح، فأنا أعلم من الذين لهم في طلب العلم ثلاثين سنة أو أربعين سنة، غالبًا الذين استمروا هم الذين ما زالوا يتابعون الكتب في فن أو في فنون فيقتنونها أو يقرؤونها من غير اقتناء كإعارة من مكاتب عامة ونحو ذلك.

إذن: أريد أن نعلم مسألة، وهذه المقدمة نجعلها مدخلاً، أنَّ الكتب هي نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ ووسيلة التحصيل العلم بطرق مختلفة لكسب المعلومة، وفهم المعلومة السابقة، والتذكر لهذا العلم، وقد تكون أحيانًا فتنة لصاحبها إمَّا إذا رأى الكتب الكثيرة استصعب العلم، وإمَّا أن تكون فتنة حينما ينشغل بزخرف هذه الكتب وشكلها عن مضمونها، وهذا واقع لا يتكلم عن أناس بعيدين، فإنَّ مننا من نعرف أنهم إنَّما يعتني في الكتب بهيئتها وشكلها والمفاخرة بها لا بالقراءة.

ولذلك قد يكون بعض الناس كمثل الذي يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها.

إذن: نرجع لمسألةٍ الكتب مهمة جداً، وما زال أهل العلم يعنون بكتب الفقه، ولهم في تحصيلها غرائب الأخبار، وعجائب الآثار، وأذكر لكم قصة واحدة على سبيل الإيجاز، كيف أن بعض أهل العلم يتعب تعبًا كثيراً في تحصيل بعض الكتب، **قيل**: إن إسحاق بن إبراهيم بن راهويه إمام من أئمة المسلمين ولا شك أنَّ الإمام إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى أراد أن يتحصل على كتب الشافعي -محمد بن إدريس- في الفقه، فبحث عنها فلم يجدها، فقيل له: إنَّ رجلاً كان ممن كتبها عن الشافعي **أي**: من تلاميذ الشافعي، كتب عنه كتبه، وأنَّ هذا الرجل قد مات، وورث كُتبه زوجته، **أي**: ورثت زوجته كُتب زوجها، **قيل**: فكان

إســحاق أو فإســحاق تقدم هذه المرأة وتزوجها لا رغبةً بها، وإنَّما رغبة في كتب الشــافعي التي عندها.

إذن: يتزوج امرأة لأجل أن يتحصــل على كتب الشــافعي، حتى قيل: إنَّ كتاب الجامع لإسحاق، لكن قيل ما لم يصح بذلك أن كثيراً منه إنَّما نقله من كتب الشافعي القديمة على طريقة العراقيين التي أخذها بهذه الوسيلة.

فالمقصود: من هذا أن أهل العلم كانوا يعنون ويتعبون في تحصيل الكتب، أمر عجيب جداً، وقد أُلِّفَت كتب مفردةٌ في تعب العلماء في التحصيل على الكتب.

هذه الكتب كتب الفقه، الحقيقة كتب متنوعة ومتعددة، وأذكر مرة من المرات، في بيت الشــيخ عبدالرزاق -عليه رحمة الله-، كانت كتب الفقه في مكتبته درفة واحدة، ولم يكن أحد يشك أن الشيخ من أكبر الفقهاء، بل الشيخ لما كان، الشيخ عبدالرزاق عفيفي أقصد، لما كان يدرس الطلاب في الشريعة قبل نحو من أربعين أو نحو من خمسين أو ستين سنة، كانوا يقولون للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: يا شيخ أن تأتينا بعلم لا ندري من أين تأتينا به؟ فما هو الكتاب الذي ترجع له يا شــيخ لكي نأخذ منه هذا العلم، قال: أنا لا أرجع إلى الكتاب الواحد، هذا الكتاب الذي بين أيديكم هو الروض، فإن هذا «**الروض**» فيه مســألةٌ وفيه تصوير للمسألة، فيه المسألة عنوانها، وفيه تصوير المسألة، وفيه دليل المسألة، وفيه ضابط المســألة، يقول الروض هذا فيه أربعة، لكن كيف تقرأ هذا الكتاب؟ انظر هذا الرجل، هذا العالم، قرأ هذا الكتاب الشــيخ عبدالرزاق عفيفي، وكان يســتخرج منه كلامـًا يقولون: استعجموا في الكتاب عندنا فلا نستخرج ما استخرجت، وإن لقراءة كتب أهل العلم طريقة وفن ومسلك مهم جداً يجب أن المرء يعتاد عليه، فليست قراءة كتب الفقه، كما تُقرأ كتب

الأدب، يمر عليها المرء مروراً ســريعـًا، وإنما لقراءة كتب الفقه طريقة اعتاد عليها أهل العلم فلابد من الانتباه لها.

❁ **مســألةٌ**: قبل الحديث عن طريقة قراءة الكتب، وإن كنت نســيت الرجوع لهذا الموضـوع فذكروني فإنِّي أنسى، أريد أن أبيِّن مسألة: وهو أنَّ كتب الفقه متنوعة، ومتعددة، وليست على سننٍ واحد، ولا على مسلكٍ واحد، بل من المهم إذا أردت أن تقرأ كتاباً من كتب الفقه أن تعلم لم أُلِّف هذا الكتاب وما غرض مؤلفه من وضــعه؛ فإن بعض الكتب أُلِّفَت لأجل التعليم، كتب التعليم، حتى أن بعضها سُميت هكذا مسائل التعليم، كتاب ابن حجر، الهيثم الشــافعي، ففي كتب أُلِّفت لأجل التعليم، وهذه الكتب التي أُلِّفت لأجل التعليم أغلبها من المختصرات، فالمختصر يُجعل ليتعلم به المبتدئ، ويحفظه المتوسط، ويستــذكر به المنتهي، ويســتذكر **يعني**: يتذكر العلم ويعرف مواطن المســائل بقراءة هذا المختصــر، قلنا يبتدئ به المبتدئ فيرتاض ويتعود على كتب الفقه، ويعرف مصـطلحاتهم، ويعرف تبويبهم، ويحفظه المتوســط، لأن المرء إذا حفظ متنـًا فإنه يجاوز مرحلة المبتدئ ويكون متوســطـًا، وأما المنتهي فإنه يحتاج لهذه المختصــرات للاســتذكار، فإن المرء بين الفينة والأخرى يحتاج إلى اســتذكار العلم الذي علمه، وأســهل طريقة للمراجعة مراجعة المحفوظ، ومن المحفوظ حفظ المختصرات، **كما قال الناظم**:

وَبَعْدُ فَالفِقْهُ عَظِيمُ المنزِلَهْ ... قَدِ اصْطَفَى خِيَارَ الخَلْقِ لَهْ
لَكِنَّهُ بَلْ كُلُّ عِلْمٍ يُوضَعُ ... بِدُونِ حِفْظِ لَفْظِهِ لَا يَنْفَعُ

فحتى المنتهي لا بدَّ أن يكون حافظًا لمختصر ونحو ذلك، إذا المختصرات جُعلت لهذه الأغراض، لم تُجعل المختصرات، **انظر لعبارتي**: "لم تُجعل المختصرات لمعرفة المذهب"، لذلك يقول بعضهم وهو ابن قاسم قطلوبغا الحنفي: «اعلم أن التصحيح النصي مقدَّمٌ على التصحيح الالتزامي»، **التصحيح الالتزامي ما هو؟** أن يأتي مؤلف فيقول: إن كل ما ذكرته في هذا الكتاب هو المعتمد في مذهب فلان، هذه تصحيح التزامي، مقدمٌ عليه التصحيح النصي، عندما يقول: هذه المسألة المعتمد والمشهور والصحيح أو المذهب كذا فيها.

إذن: فالنصي مقدمٌ على الالتزامي، ولذلك إذا أردتَ أن تنسب قولاً بمدرسةٍ ما، فحينها تنسبه لمختصرٍ يعتبر ذلك قصور، قصور ليس خطئًا وإنما هو قُصور، وتمام العمل أن تذكر من الذي صحح من كتب التصحيح والترجيح وبيان المذهب الصريحة، هذا هو الصواب فيها، ولذلك قلَّما يوجد كتاب من المختصرات إلا ويوجد فيه من الأخطاء والفوات، ولذلك ألَّف العلماء كتبًا باسم كُتب التصحيح، هناك كُتب اسمها كتب التصحيح، والتصحيح إنما يكون في الغالب المختصرات، يأتي بمختصر فيقول: إن صاحب المختصر أخطأ في كذا فخالف، لم يحسن في التعبير في كذا، وهكذا.

إذن: التصحيح هذه كتب موجودة جداً، وكتب موجودة ومشهورة جداً، ومنها ما طُبع كتاب «**تصحيح التنبيه للنووي**»، ومنها كتاب «**تصحيح المنهاج للبلقيني**»، والبلقيني ألَّف النصف الأخير وما ألَّف النصف الأول من الكتاب، ولذلك هو لا يريد إلا النصف الأخير؛ لأنَّ النصف الأول ما ألَّفه، وهو كتاب يدل على سعة علم هذا الرجل واطلاعه، ومنها «**تصحيح القدوري على مذهب الحنفية**»، لصاحبه الذي ذكرناه قبل قليل ابن قاسم

قطلوبغا، ومنها كتاب «**تصحيح الفروع**» للقاضي علاء الدين المرداوي على مذهب الإمام أحمد، والعلماء يقولون: -كما ذكر ذلك بعض المحشين- أنَّ الإطلاق عندهم خطأ، فالإطلاق في الكتب خطأ، فمن تصحيحه أن تذكر القيد.

إذن: أريد أن تعلم مسألة مما ذكرته وألخصها، أن من أهم الأمر أن تعرف الغرض من تأليف المؤلف، فمن أغراض المؤلفين في المختصرات قصدهم التعليم، فلا تنزل المختصر منزلة فوق منزلته، فإنما المقصود به التعليم، والاستظهار، والحفظ والتذكر، ولكن طالب العلم الدقيق إذا أراد أن ينسب مسألة لمذهب فلا يخرجها من المختصرات، وإنما يأخذها ممن صحَّحها تصحيحاً صريحاً، فلا تجاوز به المراد، كما أن هذه المختصرات لم تجعل أصلاً للتدليل، فإن هناك كتباً جُعلت للتدليل، وبعض الناس يبحث عن مسألة في مذهبٍ ما، ويريد دليل هذه المسألة فينظر في كتاب وكتابين وثلاثة، يقول: لم أجد لها دليل؟ **نقول**: لأنك مثلاً تبحث في الكتب التي عُنيت بالتدليل، وإنَّما بحثت إمَّا في مختصرٍ أو في كتاب ذكر خلافٍ نازلٍ، أو في كتاب إنَّما قصده التفريع، فهناك كتب من الفقه الغرض منها التفريع وسأشير له بعد قليل.

إذن: أريد أن نرجع مرة أخرى إلى المختصرات وعرفنا غرضها، وعرفنا ما يتعلَّق بالمختصرات أن هناك كتب أُلِّفت عليها تسمى بالتصحيح إضافة للشروح.

الغرض الثاني من أغراض المؤلفين في التأليف في الفقه الذي أشرت له قبل قليل وهو التدليل، التدليل على المسائل، وهذه الكتب مهم جداً أن طالب العلم يعرفها أن يعرف هذه الكتب، لكي إذا أراد دليل مسألة أو مناطها فإنه يرجع إلى هذه الكُتب، فإن هذه الكتب هي العمدة في ذلك، وقبل أن أذكر بعض من أسماء الكتب في هذا الباب بحسب ما يسمح

به الذهن، اعلم أن التدليل أنواع، فهناك كتب أُلِّفت للتدليل النصـــي **يعني**: الأحاديث التي تدل على هذا المذهب، **فعلى سـبيل المثال**: «**سـنن الدارقطني**»، هذا الكتاب أُلِّف للتدليل لمذهب الشافعي، سُنن الدارقطني هذا المشهور، أساسـاً أَلَّفه أبو الحسن علي الدارقطني للتدليل على مذهب الشـافعي، وكذلك كتب البيهقي، وخاصـةً المعرفة، معرفة السـنن والآثار، إنما أتي به لحشـد الأدلة التي توافق مذهب الشـافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى ، ومثله على مذهب الإمام أحمد «**سُـنن الأثرم**»، وقد وجد بعضـه وفقد أكثره، وعند أبي حنيفة النعمان وأصحابه أشهر كُتبه كتاب العظيم كتاب أبي جعفر الطحاوي، صاحب «**مُشكل الآثار**»، و «**شرح معاني الآثار**»، فإنه في الحقيقة ذكر هذه مسندة للتدليل على مذهب أبي حنيفة النعمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى، ومثله مذهب مالك، وأَجَّلُه «**موطأ مالك**»، فإنه للتدليل لمذهبه.

إذن: المقصـود أن هناك كتب مسـندة للتدليل، وهناك كتبٌ بعد ذلك جُمعت للتدليل، للتدليل ما أتيت بالتعليل بعد، وإنما للتدليل النصي.

من الكُتب التي عُنيت للتدليل النصـي على مذهب أحمد لعلي أختصـر ولا أذكر إلا كتب مذهب الإمام أحمد اختصـاراً، من الكتب التي عُنيت بالتدليل على مذهب الإمام أحمد كتاب مهم جداً جداً، وهو كتاب «**الممتع شـرح المُقنع**» لابن المُنَجَّى، هذا الكتاب مهم جداً هو الذي أَلَّف ابتداءً لحشـد الأدلة للرواية التي أوردها المقنع صـاحب «**المقنع الموفق**»، والرواية الأخرى التي أشار إليها، ولذلك لا يستغني أحد من الاستدلال بمذهب الإمام أحمد عن هذا الكتاب، وكثير من هذه الأدلة التي فيه نقلها البرهان ابن مفلح في «**المبدع**»، وكثير من أدلة صاحب «**المبدع**» نقلها صاحب «**الكشاف**»، إذا صاحب الكشاف

ينقل أكثر الأدلة عن «**المبدع**»، و«**المبدع**» استفاد كثيراً من كتاب الممتع لابن المنجَّى - رحمة الله على الجميع-.

إذن: من اقتني هذا الكتاب وهو «**الممتع**» في ست مجلدات، إذا أردت أن تفتحه فإنك لا تفتحه تبحث عن خلاف، ولا حل ألفاظ، ولا تفريع، ولا تبيين مسائل، وإنَّما تفتحه لأجل الاستدلال فقط، والكتب التي تتعلَّق في الاستدلال في جمع الأحاديث وتخريجها كثيرة جداً، ولكن أريدك أن تعلم أنه هناك كتباً أُلِّفَت في الاستدلال.

۞ **النوع الثالث**: هذا انتبه له، أن من الكتب المهمة جداً، الكتب التي أُلِّفَت لأجل ذكر الخلاف، هناك كتب الغرض منها ذكر الخلاف فقط، وقد يكون ذكر الخلاف نازلاً أو عاليًا، فإن كان عاليًا، فإنه اصطلح بعض أهل العلم على تسمية هذه الكتب برؤوس المسائل، فيذكرون رؤوس المسائل للخلاف فيها، وإن كان نازلاً، **يعني**: الخلاف في داخل مذهب واحد، فإنه تُسمي ذكر الخلاف المذهبي، هذه الكتب مهمة جداً جداً جداً، لأنه في الغالب إذا أردت أن تحكي قولاً في المذهب مذهب ما؛ فلا بد أن ترجع لهذه الكتب لحكاية الخلاف النازل فيها، هذه الكتب تحشد لك الخلاف الموجود في الكتب كلها وتجمعه في كتاب واحد، هذه الكتب غالبًا مع ذكر الخلاف يُبينون ما هو المعتمد، بأن من أجل القواعد في معرفة المعتمد معرفته باعتبار الأكثر، فمؤلف هذا الكتاب قال: إن هذه المسألة وجدت فيها وجهين:

- **الوجه الأوَّل**: قال به عشرة.
- **والثاني**: قال به ثلاثة.

بناءً على ذلك: يختم بقاعدة أن المعتمد والمشهور، النقل المشهور لأن المشهور المراد في قول الأكثر أن المشهور هو الأوجب دون الثاني، من قواعد البيان المعتمد، وصحيح المذهب متعدِّدة تصل إلى ست أو سبع قواعد منها قول الأكثر، كيف تعرف قول الأكثر؟ عن طريق هذه الكتب، الأول قال به فلان، وفلان، وفلان، وفلان.

الكتب التي عُنيت بذكر الخلاف في داخل المذهب كثيرة جداً، ولكنها تنقسم إلى قسمين:

❁ **القسم الأوَّل**: كتب تذكر كل خلاف المذهب، كل خلافٍ بالمذهب تذكره، وهذا مثل الكتاب العظيم الذي هو من أهم كتب الحنابلة وهو كتاب «**الإنصاف**»، للقاضي علاء الدين المرداوي، واسمه «**الإنصاف في معرفة الخلاف**»، والمراد بالخلاف هنا خلاف المذهبي النازل، فإنه لا يذكر خلاف الأئمة كالإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي، هذا الكتاب مهم جداً ولا يستغني عنه طالب علم في ضبط مذهب الإمام أحمد ومعرفة الخلاف فيه، فإنه جمع ما وقف عليه من كتب، وقد كان علاء الدين المرداوي ناظر مكتبة، ناظر المكتبة العُمانية، ليس عنده عمل إلا الجلوس في المكتبة، فلذلك كان يجمع الكتب، ويجمع جمعًا لم يسبق إليه -عليه رحمة الله-.

ومن أهم الكتب التي جمعت الخلاف كله في مذهبٍ ما، كتاب العزيز الرافعي، وكتاب العزيز الرافعي، من أهم كتب الشافعية، حتى **قال ابن النقاش** شيخ الحافظ ابن حجر: «اليوم رافعية لا شافعية، أصبحت لا ترجع لكلام الشافعي ونسيتموه، وإنما ترجعون لكلام الرافعي»، **ومن النكت هنا**: أنَّ بعضًا ممَّن استدرك هذا الرافعي وهو **عبدالرحيم الإسنوي** في كتاب استدركه عن الرافعي، **قال**: «وقد وقفت على كتب لم يقف عليها الرافعي»، هذا

الرافعي الذي اعتمدوه، لكن ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝٧٦﴾ [يوسف: ٧٦]، هذا الرافعي مع الوقوف على هذه الكتب إلَّا أنه لم يقف على بعض الكتب، جاء من بعده بنحو مائتي عام ففاخر **فقال**: «وقفت على كتب لم يقف عليها الرافعي»، وقد ذكروا أن الرافعي لم يقف على كتب الشافعي نفسه، لم يقف على الكتاب «**الأم**»، قيل ذلك لا أدري، لكنه نُقل أنه لم يقف على الشافعي، بحث عنه لم يجده.

وهذه هنا نكتة لو نخرج قليلاً، هذا الرافعي الذي ملأ الدنيا سمعًا وبصرًا في زمانه حتى قيل أنه الاعتماد على كلامه الشيخان هو والنووي، ومع ذلك لم يقف على هذا الكتاب الذي أصغر طلبة العلم عندنا يستطيع الوقوف عليه، بل كلكم جميعًا الآن في دقيقة واحدة تستطيع أن تفتح عن طريق جهازك الذكي فتأتيك أربع طبعات من كتاب «**الأم**».

❁ **مسألةٌ**: وهذا يدلنا على مسألة لا بدَّ أن ننتبه لها أنَّ العلم ليس بكثرة الكتب، وإنَّما العلم ببذل الجهد، بعض الإخوان يريد أن يتحصل على العلم ثمَّ يأتيك يقول: أعطني الكتب لأسجلها، إذا رأيت الرجل مقبلاً بهذه الهيئة فاعلم أنه قد لا يستمر في كثير من الأحيان، خذ العلم بالتدرج، وخذ العلم بالاكتساب، ولا تأخذ كلام غيرك في أسماء الكتب، وإنما خذ الخبرة في التعامل مع الكتب، أنت قد تحصل على كتب لم يقف عليها الراوي مثل هذا الكتاب، ومع ذلك طالب علم من بعد الرافعي في مذهب الشافعي إذ به لا يكاد أحد يقاربه إلَّا القليل، **إذن**: ليس دائمًا كثرة الكتب علامة العلم أو علامة التميز، أو علامة الفهم، بل قد يكون ضد ذلك.

إذن: هذا النوع الأوَّل من أنواع معرفة كتب الخلاف أو الخلاف الكلي في المذهب، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ٧٦﴾، لا بدَّ أن يكون هناك قد فات بعضهم بعض الشيء.

❁ **القسم الثاني**: هناك نوع من ذكر الخلاف داخل المذهب، هناك كتب الغرض منها ذكر الخلاف القوي في المذهب، لا يذكرون كل الخلاف، وإنَّما يذكرون الخلاف القوي فقط، هذه الكتب عند الحنابلة **مثلاً** يقولون: هي الكتب التي بين الروايتين، القاضي أبو يعلى -عليه رحمة الله- وهذا إمام من أئمة المسلمين، ألَّف كتاباً سمَّاه «**الروايتين والوجهين**»، وهو مطبوع وموجود، أراد أن يبيِّن أنَّ هذه المسألة أهم شيء فيها قولان، ماعدا ذلك هي روايات وأقوال لكنها ليست قوية، جاء ابن الفراء فكمله فسمَّاه «**التمَّام**»، وقبلهما أبو بكر عبد العزيز بن جعفر هو ابن الخلال في كتاب «**زاد المسافر**»، وفي: «**التنبيه**»، وفي: «**الشافي**»، أراد أن يذكر الخلاف القوي فقط الروايتين ولا يذكر ما عدا ذلك.

من طريقة المتأخرين الذي عُني بذكر القولين، وهو من أهم الكتب ويجب على طالب العلم أن يقتنيه إن أراد أن يعرف الخلاف القوي في المذهب، وهو كتاب «**الكافي**» للموفق ابن قدامة، **وهذا كتاب عظيم جداً تستفيد منه أمرين**:

❁ **الخلاف القوي**: وهو رواية هذه القوليات، ومن أهم الكتب في معرفة قواعد المذهب هذا الكتاب، هذا الكتاب يضبط لك القواعد والمناطات، وهي الأدلة وهي الأقيسة، المناطات هي الأقيسة، ففيه من العلم الشيء العظيم، وأحد المشايخ الكبار العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى، توفي -عليه رحمة الله- من المشايخ الكبار العلماء الكل يعرفه بلا استثناء، كان يقول: هذا الكتاب كنت غافلاً عنه ولم أعلم به إلَّا متأخراً، كنَّا غافلين عن هذا

الكتاب وهو «**الكافي**»؛ لأن فيه علماً عظيماً، وهو كتاب «**الكافي**» للموفق، كفى به كافٍ - عليه رحمة الله-، كذلك عند الشافعية كتاب «**السلسلة في القولين**»، عند الحنفية عدد من الكتب التي تُعنى بالقول، وعندهم تجد كتاب أبو الليث السمرقندي يذكر جميع الروايات، وهكذا كتب كثيرة فيه، وقلت لكم أنني لن أذكر أسماء الكتب لكي لا نشتت الذهن ولا نضيع الوقت.

۞ **النوع الثالث**: من الكتب لكي تعرف الكتاب هذا ما الغرض منه وهو الكتب التي جعلت لأجل التفريع، **بمعنى**: أن يذكر المسألة الكلية، وما الذي يتفرع عليها؟ هذا النوع من الكتب مهم جداً في اكتساب ملكة الفقه، **يعني**: يعطيك القاعدة الفرع وهو الأساس، ثمَّ يستقرئ لها أصلاً ثمَّ يبني على هذا الأصل العدد من الفروع الفقهية، كتب التفريع هذه من الكتب المهمة، التي تكسب الشخص الملكة، وتكسبه حسن بناء المسائل بعضها على بعض، وألَّا يناقض قوله في مسألةٍ المسألة الأخرى، ومن أندرِ الكتب، أنا أعطيك الكتب الواضحة التي هي مشهور جداً، منها كتاب «**صاحب الإنصاف**» الذي ذكرناه قبل قليل فإنه يُعنى بالتفريع فيقول: هذه المسألة بُني عليها كذا، ولكن إذا قال فوائد يقول: وعلى القول بالقول الأوَّل فيكون كذا وكذا، وعلى القول بالقول الثاني كذا، «**المغني**» يعنى دائماً بالتفريع، فيذكر المسألة بالكلية ومناطها ثمَّ يذكر التفريع تحتها بعد ذلك، هذا علم التفريع الفقهي له قواعده الحاكمة له، وبالإمكان أن نجعل يوماً كاملاً في التفريع، لكن بعض القواعد أن تفريع المبدع عندهم قاعدة أننا لا نفرع إلَّا على القول المعتمد، القول غير المعتمد لا يفرع عليه، إلَّا من باب التفقه فقط، ولذلك دائماً إذا رأيت قولاً قد فرِّع عليه فهو المعتمد، نصَّ على ذلك في «**الإنصاف**»، ونصَّ على ذلك صاحب «**العزيز**»، **قال**: ولا تفريع

إلَّا على المعتمد، فإذا رأيتهم يفرعون على قول **إذن**: هذا هو القول المعتمد عندهم، القول الثاني إذا لم يُفرِّعوا عليه فليس بالمعتد.

الأمر الثاني: أنَّ فائدة التفريع أنه يعطيك لوازم القول وما بُني عليه فإن كان القول فيه إشكال فالتفريع سيكون فيه إشكال، ولذلك بعد التفريع قد تصحِّح اجتهادك في القول الأوَّل فتجعل له قيداً، ولذلك العلماء عندما يأتون بالمسألة ويُفرِّعون عليها ثمَّ ينتصرون للأصل فمعناه أنهم نظروا القول، ونظروا إلى لوازمه، فوجدوا أنه منضبط، وأنه مضطرد، وهذا ممَّا يقوي تصحيح القول الأوَّل؛ لأنكم تعلمون أنَّ من نواقض العلة والحكم وهو العكس، بأن تأتي بما وافقه في العلة، ولا تأتي فيه بالحكم فيكون حينئذٍ ناقضاً. **إذن**: كتب التفريع هذه مهمة، وغالب من يستفيد منها أحد اثنين:

- إمَّا شخص يكتسب الملكة، ملكة الفقه.
- أو رجل يبحث عن جزئية وليست عنده يريد حكمها فيجد في التفريع.

وهذه مسائل التفريع هي التي أطالوا فيها الكلام، وأنصح بكلام ابن القيِّم في مسألة "أرأيت أرأيت"، "أرأيت أرأيت" هي التفريع، لكن بعض "أرأيت أرأيت" مذموم، وبعض أرأيت أو بعض الرأي ممدوح، والكلام في التفريع هذا قلت لكم يحتاج يوم كامل، متى يكون ممدوح ومتى يكون مذموماً.

۞ **النوع الرابع**: ممَّا كان غرضاً في التأليف في الكتب وهو أن يؤلف كتاب الفقه للتوضيح فقط، يأتيك لتوضيح المعاني، وغالباً هذا في الشروح، وكل المختصرات، **ومثل**: توضيح الحواشي، عندما تجد للكتاب شرح وحاشية، كيف تفرِّق بينهما؟ الشرح للتوضيح، والحاشية للاستدراك غالباً -أنا أقول: هذا غالباً ليس على سبيل الطرد-، غالباً

الشــرح يكون لتوضـيح، إذا كان عندك متن ترجع له، فإذا أردت توضـيحه ترجع للشــرح، الاستدراك والملاحظة، والعناية ببعض دقائق المسـائل تجدها في الحواشـي ولا تجدها في الشروح، فكتب الشروح في الأصل المقصود منها التوضيح وليس المقصود منها التفريع، لكن قد يسـتطرد بعض الشـراح فيفرع، الشـروح في الأصـل المقصـود منها ليس التدليل، ولكن بعض الشروح تُعنى بالتدليل، فتجمع بين التوضيح والتدليل، الشروح في الأصل لا يقصد منها ذكر الخلاف، لا النازل ولا العالي، لكن بعض الشراح يذكر هذا وذاك، ولذلك أن تأتي بشــرح يجمع هذه الأمور كلها، كان بعض أهل العلم يقول يظن ذلك فإنه سـيكبر الكتاب ويجعل هذا الكتاب مرجعـًا في كل شــيء، **قالوا**: وهذا إنَّما يكون في كتب معدودة **مثل**: كتاب «**المغني**» وغيرها الذي يشمل كل شيء.

هذه بعض الأغراض في التأليف؛ لأن طرق العلماء في التأليف عجيبة جداً ومتنوعة، ولو أردنـا أن نتتبع كتبهم وطرائقهم فهي عجيبـة، فبعضــهم يؤلف كتـب فقط في الألغـاز الفقهية، وبعضــهم يؤلف كتب -**مثل**: ابن مازة الحنفي- في المســائل المحيرة، **ما هي المسائل المحيرة**؟ التي حيرتهم فلم يجدوا لها جوابـًا، هناك مسائل يقولون: ما أدري، هذه المسائل المحيرة طبع كتاب ابن مازة وفيه مجلد سـمَّاه «**المسائل المحيرة**»، بعض من أهل العلم يؤلف كتابـًا في مسألة بعينها أو في باب بعينه، أنا أعرف الكتب التي أُلِّفَت في باب مهمة جداً فإنها في الغالب تكون فيها من التفريع والتدقيق ما لا يوجد في غيرها، فكل فقيه من الفقهاء الكبار -أنا أتكلم عن المتقدمين- إذا ألَّف في باب على سـبيل الخصــوص فإنه يتوسـع في **مثل**: بعض الذين ألَّفوا في أحكام القضـاء، وتوسـعوا فيه وهكذا، بعض العلماء يؤلف كتبـًا فقط في غريب ألفاظ الفقهاء، القصــد من بيان ألفاظ الغريب، **مثل**: كتاب ابن

جني في «**غريب المدونة**»، ومثل: «**المطلع**»، ومثل: «**تهذيب الأسـماء واللغات**» لابن أبي الوفا القرشـي، أو «**طرق الهداية**»، أو «**تهذيب الأسـماء واللغات في المهذب**» للنووي، أو «**المغري**» لابن باطش، الكتب كثيرة من ضمنها ما أذكر أسماءها.

إذن: مهم جداً إذا أردت أن تقرأ كتاب، قبل أن تقرأ الكتاب يجب أن تعرف أنَّ هذا الكتاب الفقهي لِمَ أُلِّف، كيف تعرف ذلك؟ بفتح مقدمته، فأوَّل ما تقرأ كتابًا اقرأ مقدمته لتعرف هذا الكتاب لم أُلِّف؟ وما غرض المؤلف من تأليفه؟، فحينئذٍ إذا أردت مسـألة أو أمراً معينًا في كتب الفقه عرفت ما الذي ترجع له وما الذي لا ترجع له؟

بعض الإخوان يقول هذه المسألة يقولون موجودة عند المالكية، بحثت في الشاملة فلم أجدها، أقول: لن تجدها هنا، سـتجد هذه المسـألة؛ لأنها من التفريعات في كتب التفريع مثل: «**التبصـرة**» للخمي سـتجد فيه، أو الكتب التي عُنيت بالتفريع، وهكذا، أحد يقول: أبحث عن دليل، ابحثه هنا، وآخر يبحث عن تفريع، وهذا يجدها في مسـألته. إذن: معرفة مظنة المسائل مهم جداً.

❒ خاتمة:

موضوعنا صلب المحاضرة هو الآن: **كيف تقرأ كتاب فقه؟**

۞ باختصـار، اعرف نوع الكتاب الذي سـتقرؤه، فاقرأه للغرض الذي أُلِّف له هذا واحد.

۞ **الأمر الثاني**: إيَّاك أن تقرأ كتاب فقه دون دُربتك ومعرفتك بمصـطلح أهل الفن، من لم يعرف مصـطلح أهل الفن يأتي بغرائب الأمور وعجائب الفهوم، من لم يقرأ في رسـائل الباحثين المعاصـرين وخاصـة طلاب الماجسـتير يقرأ عجب، فهم كلام بلغتنا الدارجة، أو

فهم كلام هذا الفقيه بلغة شـرَّاح الحديث، أو فهم كلام هذا الفقيه بلغة الأصـوليين؛ لأن استخدام الفقهاء أحيانـاً يخالف استخدام الأصـوليين، وهناك محاضـرة كاملة تكلمنا عن قضية الفرق بين استخدام هؤلاء وهؤلاء.

إذن: لا بدَّ أن تعرف اصطلاح القول، من النكت التي تذكر، يقول ابن بدران: أنني كنت أقرأ على شيخي في الشام فجاء باب المدبَّر، فجاء أحد الطلاب يسأل ابن بدران قال يا شيخ ما معنى المدبَّر؟ يقول فهذا الشـيخ حكَّ رأسـه -هو ما قال هكذا أنا أحكيها بالمعنى- فجلس يحك رأسه وأرجع عمامته قليلاً ثمَّ قدمها، قال: المدبَّر هو الذي يأتيه سيِّده في دُبره، هذا جاهل ويُدرِّس، هذا ذكره الشـيخ عبدالقادر بن بدران، المدبَّر هو من؟ هو الذي علَّق عتقه على الوفاة، فيكون عتقه معلقـاً على دُبر الحياة **أي**: في آخرها بعد الوفاة مباشـرة، يقول: عبد فلان حر إذا مت، وحكمه حكم الوصية في الجملة، فيجوز بيعه ويجوز الرجوع فيه وهكذا.

إذن: بعض الناس يفهم خطأ، وذكر أظن صاحب «**المواهب**» الحطاب أو غيره قال عن بعض الضـعفاء يشـرح كتاب خليل بن إسـحاق في الفقه، فمرَّ بقوله في باب الوليمة وهو في الأكل بالخيار، فظنَّ أنَّ قوله: بالخيار **أي**: يأكل مقدار خيارة، فكان يشـرح للطلاب يقول: وأقل ما يعد أكلاً **أي**: وليمة النكاح أن يأكل بحجم الخيارة. **إذن**: مصطلح الفقهاء مهم جداً أن يعرفه، وهكذا الأمثلة كثيرة جداً بالعشرات لكن نذكر بعضها فقط.

إذن: معرفة مصـطلح أهل الفن مهم، **كيف تعرف مصـطلح أهل الفن؟** بقراءة العلم على أهله، أسـرع طريقة أن تقرأ على شـيخ يعلم الفن، بل هل تعلم أنَّه قد يكون لأحد المذهبين مصطلح يستخدم غير المصطلح الثاني، بل المذهب الواحد، مدرسة العراقيين

تخالف مدرسة الشاميين، حتى الحنابلة في بعض المصطلحات عند العراقيين لها مصطلح غير مذهب مصطلح الشاميين، **مثل**: ما جاء في كتاب [..]، كلمات له دلالته تختلف عن دلالته عند الموفق وغيره، **إذن**: أهم شيء أن تعرف مصطلحات أهل الفن، والحديث فيه طويل، من المصطلحات معرفة الأسماء، معرفة الرموز، معرفة أشياء كثيرة، كل بحسبه، المبتدئ له مصطلحات، والمنتهي له مصطلحات، وكل كتابٍ له مصطلحات.

۞ **الأمر الثالث**: إذا أردت أن تقرأ كتب الفقه فاعلم أنَّ قراءة كتب الفقه تحتاج إلى تأمل فلا تُقرأ بسُرعة، وأن تقف مع اللَّفظ، واعلم أنَّ كتب الفقه فيها ميزة، وخاصةً كتب الفقه التي ألَّفها العلماء في المذاهب الأربعة، فإنَّ الكتاب الواحد إذا ألَّفه الرجل فإنه في الغالب يكون قد أخذه من قبله، فاختصر عبارة من قبله، فهو محاكٍ له، ثمَّ إذا ألَّف هذا الكتاب جاء بعده من يشرحه، ثمَّ جاء من يحشي عليه ويستدرك عليه، وهذا من المكتوب، ناهيك عن الألوف الذين قرؤوه وبيَّنوا الخطأ فيه، ولذلك -وخاصة المتون المشهورة- في الغالب لمن أراد أن يتعب سيجد أنه مخدوم خدمة دقيقة جداً، وكل كلمة فيها موزونة، فإذا كان الكلمة غير موزونة صحَّحوها في كتاب أو في آخر، لكن بعض الطلبة قد يقف على الكتاب أو لا يقف عليه، أمَّا الذي يؤلف ابتداءً بلغته الآن ثق أنَّ في كلامه قد يكون فيه بعض الخطأ ما لم يستفد من كلام الأوائل.

إذن: العلماء بعضهم يأخذ من بعض، ولذلك إذا أردت أن تقرأ كتبهم فاقرأها بتأمل، واقرأها بنظر دقيق؛ لأن لهم اعتباراً كبيراً، بعض أهل العلم لمَّا ألّف بعض الشروحات، كانت طريقته أن يذكر المنطوق، ثمَّ يذكر المفهوم، ويبيِّن صحة المفهوم من عدمه، كما هي طريقة صاحب «**الإكليل في شرح مختصر الخليل**»، فهذا كتاب جميل في بيان المنطوق لكل

مســألة والمفهوم، وابن المنجى في «**الممتع**» كثيراً ما يبيِّن مفهوم صــاحب كلام «**المقنع**» يقول: مفهومه كذا، ومفهومه كذا، وأصــحاب الحواشــي والشــروح، مثل: «**المنتهى**» و«**الإقناع**» دائمـًا ما يذكرون مفهوم المنطوق ويبيِّنونه، ولذلك عندهم قاعدة: هل المقدَّم مفهوم «**المنتهى**»أم منطوق «**الإقناع**»؟ **قالوا**: إنَّ منطوق «**الإقناع**» مقدَّم على مفهوم «**المنتهى**»، وأمَّا إن كان منطوقـًا فيقدَّم منطوق «**المنتهى**» عليه، وهذه المسألة مشهورة الكل يعرفها.

۞ **الأمر الأخير**: في مســألة كيفية قراءة كتب الفقه أنه لا بدَّ في كتب الفقه من إعادتها، وتكرارها وعدم الاكتفاء بمرَّة، حقيقة أحزن عندما أرى طالبـًا نجيبـًا يقول أنا قرأت الكتاب الفلاني ولن أرجع له، أو يقول قرأت الفقه، الفقه للاســتغراق، ماذا قرأت؟ قرأت الكتاب الفلاني، تعجب أن تخرج منه هذه الكلمة مع نجابته وذكائه وحرصــه، لا يمكن أن تنال العلم بقراءة ولا قراءتين ولا ثلاثة ولا أربعة، كلنا إلَّا ما ندر من الناس يســتحضــر الشــيء قريبـًا ثمَّ ينساه، إلَّا قلة من الناس، **علماء النفس يقولون**: لا يوجد في العصر كله إلَّا عشرة، كل عصر يوجد عشرة عندهم هذه الحالة التي إذا مرَّ عليه شيء لا ينساه، العلم ينسى، فلا بدَّ لك من اســتذكاره، فلا بدَّ من المراجعة، نحن نقول العلم يُنســى، فكيف يمكنك أن تستذكر هذا الكلام عندما تقرأ كتاب الفقه؟ لأهل العلم مسالك، افعل أي مسلكٍ من هذه المسالك سأذكر بعضها على سبيل التمثيل لكي لا يظن المرء أنه على سبيل الحصر، بعض أهل العلم وهذه الطريقة قديمة عندهم أنه كان يجعل له كتابـًا واحداً من كتب الفقه يرجع إليه دائمـًا، وكل كتاب فقه يقرؤه يجد فيه زيادة على هذا الكتاب فيثبت هذه الزيادة في هامش هذا الكتاب، فيكون هذا الكتاب عنده هو المرجع، إذا أراد أن يراجع أو يســتذكر أو

يُحضِّـر لدرس رجع لكتابه هذا فقط، ولذلك يقول نسـخة فلان من كتاب كذا، تجدها مليئة بالحواشي، شيخنا الشيخ عبدالله الرباطي المتوفي سنة ألف ومائتين وخمس وثمانين نسخة من «**الروض**» مليئة بالتعليقات، ونســخته من «**المنتهى**» مليئة بالتعليقات، وجد فائدة عند شـخص وقف على كتاب أثبته، ولذلك يقول: أنَّ أحيانـًا قد تأتيك السـانحة في مسـألةٍ فقهية إن لم تسـجلها ضـاعت، كيف تسـجلها في محلها؟ في مظنتها في الكتاب، ميزة أنك تسـجلها على مظنتها بالكتاب، أنك حتى ترجع لهذا الكتاب وتجد المظنة سـتسـتذكر هذه المسـألة وما قبلها وما بعدها، وستقرأ حتى تجد المسألة في مظنتها، هذه هي الطريقة.

طريقـة بعض أهـل العلم آخرون: أنـه إذا وجـد مســألـة كتبهـا، ثمَّ يجمع المتنـاظرات وحدهـا، ثمَّ بعد ذلـك يؤلف بينهـا، فيكون من بـاب جمع النظـائر، وهنـاك طرق كثيرة جداً ،بعضـهم إذا وجد فائدة لا بدَّ أن يلتقي بطالب أو بزميل فيخبره بهذه الفائدة لكي لا ينسـاها، دائمـًا الفائدة إذا قرأتها خبِّر بها زميلك، تبقى في ذهنك أكثر، دائمـًا تكلم بالفائدة، لا تكن ضـنينـًا بها، فإنَّ الحديث بالعلم زكاته، والزكاة نماء له، وهذا مجرَّب، كل فائدة تجدها خبِّر الناس بها، قل لزملائك وجدت هذه الفائدة، وتكلم بها فإنها تثبت في الذهن بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

۞ **ممَّا يتعلق بقراءة كتب الفقه**: أنَّ قراءة كتب الفقه من الأشــياء المهمة فيها أن تقرأ على الشيخ، ولذلك -سبحان الله العظيم- من خصـائص هذه الأمَّة القراءة على المشـايخ، واحرص على أن تقرأ على شــيخٍ يحســن الفن؛ لأني أعلم أن هناك من يريد أن يتعلم الفن على رؤوس الطلاب، فيقول أقرئ الطلاب هذا الفن لأتعلمه، من لا يُحسن الأصول يقول: سـأدرِّس الأصـول لأفهم الأصـول، أنت تظلم الطلاب الذين عندك، فلا تقرأ الفن إلَّا على من يُحسـنه، لن تصـل لمن وصـل أو قد لا تجد من وصـل في العلم منتهاه، أو بلغ فيه درجة

عالية، وإنَّما الإنسان يبحث عن من يقرأ عليه، وطريقة أغلب المشايخ أو كثير من المشايخ أنَّه يستمر في القراءة على شيخه حتى يفرِّق بينهما سفر أو عجزٌ أو وفاة، الشيخ -عليه رحمة الله- كان يحضر درسه أناس في السبعين من عمرهم، ما انقطعوا عن درسه، بعض الإخوان يبدأ في الدَّرس أسبوعين ثلاثة ثمَّ ينقطع، يمل، هذا ليس بطالب علم، الثاني يحضر ثمَّ يقول: اكتفيت، لا تقطع، وخاصة إذا كان شيخك له فضل عليك، لا تقطع الدَّرس أبداً، إلَّا أن يفرِّق بينكم عجزٌ أو موت أو سفر، وهذه ملاحظة عند أهل العلم قديماً، ولذلك كان أهل الحديث يكتبون يقولون: من المحبرة إلى المقبرة، وما زال بعض أهل العلم يحضر، لا يلزم أن يكون درساً طويلاً وإنَّما درس القراءة، والإفادة، وحِلق العلم وخاصةً من أخذ عن شيخه ونسب له الفضل، فيه من البركة ما لا تعلم، كما قال بعض أهل العلم: إنَّ من بركة العلم نسبته إلى أهله، وأن يُنسب إلى الأشياخ ويذكرون ويُترحم عليهم.

إذن: قصدي في قضية القراءة على المشايخ مهمَّة، والاستمرار فيها أهم، حتى وإن نال المرءُ علماً عظيماً، نعم بعض المشايخ يقول لتلميذه: رح عني، **مثل**: بعض مشايخ الشيخ عبد العزيز لمَّا قرأ عليه قال له الشيخ صالح بن عبد العزيز: الذي عندي أخذته يا شيخ، محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي عندي انتهى، الشيخ طرد تلميذه قال: رح، أنت الآن وصلت لمرحلة أعلى مني، والشيخ جاوز الشيخ نفسه عبد العزيز بن باز -عليه رحمة الله-، **فالمقصود**: من هذا أنَّ الاستمرار هذا مهم جداً، فاجعل في ذهنك الاستمرار وهذا من بركةِ العلم.

الحقيقة الحديث طويل، وصعب، فلا أخفيكم أنِّي أتيت وأنا لم أستطع أن أُرتِّب أفكاراً في هذا الموضوع، ولذلك جمعت من هاهنا وهاهنا، لأملأ الوقت.

لذلك أسأل الله عَزَّوَجَلَّ للجميع التوفيق والسداد، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يتولانا بهداه، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحاضرةٌ أُلقِيَت

بعد صلاة العشاء من يوم الجمعة التاسع والعشرون

من شهر ذي الحجة

سَنَةَ سَبعٍ وثَلاثِينَ بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ

بمسجد الشعبي الجهراء تيماء ق٢ مقابل جمعية تيماء

بمدينة الكويت

